

الاستدلال بآية سورة الاعراف-رقمها 35- على استمرار النبوة في ميزان العقل و النقل

سميع الحق بن المفتي عبد الديان*

الحمد لله الذي أرسل رسوله خاتم النبيين و الرسل محمدا صلى الله عليه وسلّم، و أتهي سلسلة النبوة عليه الصلاة و السلام على خير خلقه محمد الذي قال: "أنا خاتم النبيين و لا نبي بعدي"¹ و على أله و أصحابه الذين آمنوا بختم النبوة و يكون محمد صلى الله عليه وسلّم خاتم النبيين و الرسل، و الذين دافعوا عن هذه العقيدة حق الدفاع. أما بعد! فإني أتعرض أولاً للتعريف الموجز بفرقة القاديانية و ثانياً للآية في سورة الاعراف التي تستدل هذه الفرقة بما على استمرار سلسلة النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلّم ثم للرد عليها في ضوء الأدلة النقلية و العقلية ثم اذكر أقوال العلماء في ختم النبوة.

التعريف بالقاديانية:

القاديانية فرقة ضالة بدأت و ظهرت تحت رئاسة غلام أحمد القادياني في قرية "قاديان" من احدى قرى البنجاب بمحافظة كورداسبور المولود في سنة 1839م المتوفي سنة 1908م برهوه باكستان- في أسرة عميلة للاستعمار الإنكليزي.² و كان يدعي النبوة حيث صرح قائلاً: "الذي لا يؤمن بي لا يؤمن بالله و رسوله" و كان ابنه الثاني بشير أحمد يقول: "إن من لا يؤمن بغلام فهو كافر و خارج عن الإسلام و جهنمي"³ و هم يكفرون كل من ينكر نبوة غلام أحمد.⁴

و قال غلام أحمد القادياني في 25 مايو سنة 1900 م: "إن الله تعالى قال له: "الذي يجني و يطيعني و جب عليه ان يتبعك و يؤمن بك، و إلا لا يكون محبا لي بل هو عدو لي، و إن أراد منكروك أن لا يقبلوا هذا بل كذبوك و آذوك، فنجزهم جزاء سيئاً و أعددنا لهؤلاء الكفار جهنم سحناً لهم، فقد بين الله ههنا بأن منكر الغلام كافر و جزاءه جهنم".⁵ و في كتاب حقيقة الوحي له ص/ 179 يجعل الكفر قسمين:

أحدهما: جحد الاسلام و نبوة محمد صلى الله عليه وسلّم
و الثاني: جحد المسيح الموعود- يعني نفسه-⁶

و إن القاديانية تعتقد بأنهم مسلمون و يكفرون المسلمين و يقولون أنهم أهل جهنم و أولاد الكلاب و الخنازير.⁷
و في مارس 1884م ادعى أنه يلهم من الله، ثم ادعى بعد ذلك سبعة عشر عاماً 1901م بأنه نبي و رسول.⁸

الاستدلال بالآية:

بعد هذا التعريف الموجز بما أتى إلى صلب الموضوع، و هو استدلال هذه الفرقة بآية سورة الاعراف و هي قوله تعالى: يا بني آدم إماماً يأتيكم رسلكم منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى و أصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون"⁹ على مجيء الرسل بعد النبي صلى الله عليه وسلّم لأنّ الله تعالى أخبر أولاد آدم عن إتيان الرسل.¹⁰

تستدل هذه الفرقة بلفظ (ياتين) المؤكد بنون التوكيد مع لفظ (إمام) المفيد للتأكيد أيضاً على ان إرسال الرسل معلق بالزمن المستقبل، و الآيات السابقة كلها تدل على الزمن المستقبل، فحاء في الآية: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد و

*رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين".¹¹ و تقول القاديانية في تفسير الآية السابقة و هي قوله: " يا بني آدم... الخ" هذه الآية التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم، حوَّط به جميع الإنس، و لم يكتب فيها أنا قلنا ها في الزمن الماضي و في الأماكن كلها، بل حوَّط بها الرسول و النَّاس الَّذِينَ ياتون بعده:¹²

جاء في " الإقتان" (هذا خطاب لاهل ذلك الزمان و لكل من بعدهم) و كذلك لفظ (رسل) مخصوص بالبعض، لأن الآية " ومن يطع الله و الرسول"¹³ تدل على اشتراط أن تكون الامة للنبي الآتي في المستقبل فلفظ (رسل) في هذه الآية المذكورة سابقاً يدل على اختصاص الامة بالنبي فقط، اي لا بد أن تكون هناك أمة للنبي الآتي في المستقبل.¹⁴

نرد على هذا الزعم الباطل بردين : إلزامي و تحقيقي. ثم اذكر بعد الآيات و الأحاديث و أقوال العلماء للدلالة على ختم النبوة إن شاء الله.

الرد الإلزامي:

أ. يقول ميرزا غلام محمد: إن لفظ "الرسول" لا يراد به في كل موضع الرسول من الله تعالى، بل يطلق على المحدث و المحدث و المبلغ، يستدل بقوله تعالى: فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول".¹⁵ و في هذه الآية لفظ " الرسول" عام، يدخل فيه الرسول و النبي و المحدث، إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

ب. إن النبي و المحدث في كونهما مرسلين من الله تعالى متساويان كما سمي الله الأنبياء المرسلين كذلك سمي المحدثين مرسلين ولهذا الغرض جاء في القرآن: "و قفينا من بعده بالرسول"¹⁶ و لم يقل و قفينا من بعده الأنبياء، فإذا رسولنا خاتم الأنبياء لا يأتي بعده الرسول، ولكن يأتي بعده المحدث يقوم مقام النبي.

ج. كذلك يطلق الرسول على غير الرسول ايضا مثلا أطلق الرسول على معاذ بن جبل، و الحاصل أن المراد بالرسول في الآية صحابة الرسول، فعند مرزا جاء في الآية لفظ " رسل" و ليس " أنبياء" و الرسل يطلق على جميع العلماء و الأمة و المبلغين و الكلام في النبوة و الرسالة من الله و ليس في مطلق الرسالة،¹⁷ و الرسل يدل على مطلق الرسالة. فإذا جاء هذا الاحتمال في لفظ "رسل" بطل الاستدلال بهذه الآية على استمرار سلسلة الرسالة.

الرد التحقيقي:

أ. إذا كان في " إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رِسَالٌ مِنْكُمْ" وعد مجيء الرسل دائماً فلا محالة يكون في قوله تعالى: "إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى"¹⁸ وعد مجيء الهداية و الكتاب دائماً، إذا كان يأتي بعدك الرسول فلماذا لا يأتي بعد القرآن الكتاب، و لم يقولوا به.¹⁹

ب. أن لفظ "إمّا" حرف شرط فلا يدل على تحقق الشيء و تحققه ليس بلازم، مما في قوله تعالى: " إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين"²⁰

ج. أن لفظ "يأتين" فعل مضارع، و المضارع استمراره ليس بضروري كما في قوله تعالى: "فإمّا ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً"²¹ لأنه ليس معنى الآية أن مريم تعيش إلى أبد الأبدين حتى ترى البشر يوماً و بالاستمرار.²²

د. أن القادياني يقول بنفسه إن النبوة بمعنى الرسالة قد انقطعت.²³

هـ. أن القرآن يخاطب المؤمنين يعني أمة الإجابة بلفظ (يأيها الذين آمنوا) و يخاطب أمة الدعوة بيأتيها الناس و لم يخاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم بيا بني آدم،²⁴ و لكن هنا يخاطب ب " يا بني آدم" و خاطب أولاد آدم الأولين و هذه حكاية الحال الماضي.

و. أن القادياني يحرف في هذا المكان مثل تحريف اليهود، و لكن القارئ لو بدأ القراءة من الركوع الثاني يعني من الآية رقمها 11 لسورة الاعراف يجد قصة آدم مكتوبة فيها يعني خلق الله آدم ثم أضله الشيطان و أخرجه من الجنة، ثم قال لهم يعني: له و لأولاده: إن دخول الجنة موقوف على حياة الدنيا فاذهبوا إليها، ثم نبه أولاده على مكر الشيطان انه أذل أباهم و لا بد لهم أن يحذروه و يقوا أنفسهم منه، في أثناء هذه القصة سلى النبي صلى الله عليه وسلم بمعاني هذه القصة، و أنذر المشركين على أعماله الشيطانية و أخجلهم، ثم قال بعد إعادة القصة نحن نصحنا أولاد آدم و قلنا لهم إذا جاءكم رسل مني فاقبلوا كلامهم، و من امتثل نجا و من لم يتبع هلك و يكون من أصحاب النار.²⁵

و الحاصل أن هذا الخطاب لأدم و أولاده عند الخلقة الأولى و صدق هذا الوعد بمجيئ الأنبياء و الرسل إلى أن جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم كما ذكر الإمام الطبري في تفسير الآية: إن الله تعالى جعل آدم و ذريته في كفه²⁶ فقال: " يا بني آدم إما يأتينكم" أن الله أخذ آدم و نسله في يده و خاطبهم بهذا، و كذلك سياق الآية يدل على هذا، لأنما ذكرت سياق خلقة آدم و دخوله الجنة ثم الخروج منها.²⁷

ز. أن الله تعالى بين هذه القصة في الجزء الأول في الآية رقم 30: من الركوع الرابع إلى آخره، يقول الله حينما أنزلنا آدم على الأرض نصحناه و قلنا له "فإما يأتينكم من هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون".²⁸

الحاصل أن هذه الآية أيضا ليس فيها دلالة على استمرار النبوة و الهداية ، بل فيها أيضا قصة آدم، فعرف أن الله تعالى وعد ألا يرسل رسولا بعد النبي صلى الله عليه وسلم.²⁹

يرد الاعتراض:

إن المخاطب في آية سورة الاعراف " يبيني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد"³⁰ الرسول و الناس بعده و ليس بني آدم كله ، لان لفظ "مسجد" جاء في هذه الآية و هو مختص بمعبد أمة محمد صلى الله عليه وسلم.³¹

الإجابة عليه:

إن لفظ " مسجد" لا يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل هذا اللفظ استخدم للامم السابقة أيضاً كما قال الله تعالى: "قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً"³² حينما وقع الجدل في ماذا بينى على مكان أصحاب الكهف بين الناس، فاقترح الفريق الاكثر أن يبني عليه مسجداً لذكراهم ، فثبت أن لفظ المسجد لم يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل كان مروجاً في الامم السابقة.³³

لو سلمنا بان لفظ "المضارع" يعني "يأتينكم" يدل على الاستمرار ، فيعرف منه باشارة النص استمرار سلسلة النبوة لكن هناك نصوص و أدلة قطعية من القرآن و الحديث و الاجماع تدل بعبارة النص على انقطاع سلسلة النبوة. فإذا وقع التعارض بين اشارة النص و عبارة النص ترجح عبارة النص على اشارة النص بالإتفاق.

بعد هذا الرد على هذا الاستدلال بآية سورة الاعراف رقمها: 35 على استمرار النبوة أذكر بعض الآيات و الأحاديث النبوية الشريفة و أقوال العلماء و إجماع الأمة على ختم النبوة فيما يلي:

الآيات المباركة الدالة على ختم النبوة:

وردت الآية الصريحة في القرآن الكريم تدل على ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم و هي قوله تعالى:
 "ما كان محمد أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليماً".³⁴
 فهذه الآية نص في المسألة و ظاهرة في معناه و لا تحتاج إلى أي تأويل و توضيح، ويفهم منها من له أدنى إلمام باللغة العربية
 أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم.³⁵

عقيدة ختم النبوة كما وردت في الأحاديث:

هناك أحاديث كثيرة دالة على عقيدة ختم النبوة منها:

- أ. قال النبي صلى الله عليه وسلم: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي. و إنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء".³⁶
- ب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن مثلي و مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون هلا وضعت هذه البنة ، انا اللبنة و أنا خاتم النبيين".³⁷
- ج. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي ".³⁸
- د. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أنا محمد ، و انا أحمد ، و أنا الماحي الذي يمحي بي الكفر و انا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي و أنا العاقب ، و العاقب الذي ليس بعده نبي".³⁹

إجماع الصحابة على ختم النبوة:

و إن إجماع الصحابة له الأهمية الكبرى بالدرجة الثالثة بعد القرآن و السنة. و ممّا اتفقت عليه الروايات التاريخية الموثوق بها أن الصحابة حاربوا بإجماعهم كل من قام بدعوى النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم و الذين آمنوا بنبوته و عاونوا على إظهار أمره. و من أمثلته:
 دعوى مسيلمة الكذاب بالنبوة و إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على تكفيره و اعتباره خارجاً من دائرة الاسلام و على ذلك قاتلوه.⁴⁰

أقوال علماء الأمة في ختم النبوة:

- أ. تنبأ رجل في زمن أبي حنيفة و قال امهلوني حتى اجيء بعلمات فقال أبو حنيفة : من طلب منه علامة فقد كفر لقوله عليه السلام : لا نبي بعدي.⁴¹
- ب. يقول الامام الغزالي رحمه الله:
 إن الأمة فهمت بالاجماع من هذا اللفظ -أي لا نبي بعدي- أنه أفهم عدم نبي ابداً و عدم رسول بعده أبداً و أنه ليس فيه تأويل و لا تخصيص و من أوله بتخصيص فكلامه من أنواع الهديان لا يمنع الحكم بتكفير لانه مكذب هذا النص اجمعت الأمة على أنه غير مؤول و لا مخصوص.⁴²
- ج. يقول الامام ابن كثير:

"إن كل من ادعى هذا المقام-أي مقام النبوة- بعده فهو كذاب افاك دجال ضالّ مضلّ".⁴³

د. يقول العلامة الألوسي:

و كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب و صدعت به السنة و أجمعت عليه الأمة ليكفر مدعي خلافه و يقتل إن أصر.⁴⁴

نتائج البحث

- أ. أن الاستدلال بأية سورة الاعراف على استمرار سلسلة النبوة باطل لغهً و عقلاً و نقلاً.
- ب. أن الاستدلال مبني على تحريف الآية لا يقبله سياق الآية و سباقها.
- ج. أن الاستدلال مبني على سوء النية و أنه خلاف النصوص القطعية و الاجماع التي تدل على انقطاع سلسلة النبوة. و الله أعلم.
- د. أنه خلاف أقوال و آراء المجتهدين الذين أجمعوا على ختم النبوة و بطلان مجيء نبي و رسول بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

هوامش

- 1 بخارى، محمد بن اسماعيل، صحيح، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين : رقم الحديث: 3535
- 2 حقيقة البهائية و القاديانية للدكتور محمد حسن الأعظمي. منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات: بيروت، لبنان، 1393هـ. ص 90-89
- سيد أبو الحسن الندوي، قاديانيت مطالعة و جائزة، مجلس نشریات اسلام . اى كى 3 ناظم آباد نمبر 1 كراتشي سنة 1981 م. ص: 23
- 3 سيد أبو الاعلى المودودي، قادياني مسئله اور اس كى مذهبي، سياسي اور معاشرتي بھاو. اسلامك بليكيشنز لاهور، باكستان. 1995م-1997م. ص: 432
- 4 قادياني مسئله: 432-433 البهائية و القاديانية: 91-118-119 مولانا منظور احمد جنیوتی، دفاع ختم نبوت، رتبہ مولانا محبوب احمد مدرس جامعة مفتاح العلم سرحدھا. الميزان ناشران تاجران كتب، لاهور باكستان. ص 137
- الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة . الناشر: صبيح الرحمن يوسفی. مكتبة النور نوشهرة. ط: 2.1409هـ، 1989م. ص 289
- 5 الاستاذ احسان الهی ظهير، انظر القادسانية دراسة و تحليل. الناشر إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان. ط: 3.1395هـ، 1975م. ص: 22، 34، 35
- انظر البهائية و القاديانية: ص: 90، 91 قادياني مسئله: ص 386-387
- مولانا محمد يوسف لدهيانوي، آب كى مسائل اور ان كا حل. مكتبة لدهيانوي كراتشي. 199/1 قاديانيت مكالعة و جائزة: ص 89-90 دفاع ختم نبوت: 133-137
- 6 الشيخ محمد زاهد الكوثري، مقالات الكوثري. الناشر ايج_ايم كمبني كراتشي باكستان. ص 270 قاديانيت مطالعة و جائزة. ص: 90
- قادياني مسئله. ص: 385-388 دفاع ختم نبوت، 96
- 7 انظر البهائية و القاديانية. ص 91
- 8 سورة الاعراف: 35
- 9 انظر القاديانية دراسة و تحليل. 305-308
- 10 مولانا الله وسایا، آئینه قاديانيت. علمي مجلس تحفظ ختم نبوت حضوری باغ ملتان. مكتبة الحرمين اردو بازار لاهور. 1431هـ، ص: 81، 82
- 11 سورة الاعراف: 31

- 12 مولانا محمد عبد الله امرتسري مرحوم، انظر محمدية باكت بك بجواب أحمدية باكت بك. المكتبة السلفية لاهور. ط: 4.1384هـ، 1964م. ص 445-446
- 13 سورة النساء: 70
- 14 قاضي محمد نضير فاضل، (مرتبته) انظر أحمدية تعليمي باكت بك، طابع سيد عبد الحي ام- اى مطبع صياء الاسلام بريس ربوه، ناشر نظارت اشاعت اتريجر و تصنيف ضدر انجمن احمد باكستان ربوة ديسمبر 1977م. حصة اول: دوم: ص 170، 171
- 15 سورة الجن: 26، 27
- 16 سورة البقرة: 87
- 17 انظر محمدية باكت بلا بجواب أحمدية باكت بك. ص: 448، 446
- 18 سورة البقرة: 38
- 19 آئينه قاديانيت: ص: 83
- 20 سورة الزخرف: 81
- 21 سورة مریم: 26
- 22 آئينه قاديانيت: ص: 83
- 23 انظر القاديانية: 305-306- انظر محمدية باكت بك تجواب أحمدية باكت بك. ص: 448-449
- 24 انظر المرجع السابق. ص: 448-449
- 25 آئينه قاديانيت. ص: 82
- 25 الشيخ مولانا بشير أحمد عثمانی، انظر القرآن الكريم و ترجمة معانيه و تفسيره إلى اللغة الاردية المعروف بالتفسير العثماني. ص: 206
- انظر محمدية باكت بك. ص: 448-449
- 26 الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر: بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م، 5/195
- 27 انظر القاديانية. ص: 305-306
- انظر التفسير العثماني. ص: 206
- 28 سورة البقرة: 38
- 29 انظر محمدية باكت بك. ص: 448-449
- 30 سورة الاعراف: 31
- 31 انظر محمدية باكت بك. ص: 449
- 32 سورة الكهف: 21
- 33 انظر محمدية باكت بك. ص: 449-450
- 34 سورة الأحزاب: 41
- 35 القاديانية: 269

-
- 36 بخاري، صحيح، كتاب المناقب. باب ما ذكر عن بني اسرائيل
- 37 بخاري، صحيح، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين
- 38 رواه الترمذي في سننه: كتاب الرؤيا: باب ذهاب النبوة و قد أخرجه الامام أحمد في مسنده في مرويات انس بن مالك
- 39 مسلم، الجامع، كتاب الفضائل، باب اسماء النبي. و الترمذي: كتاب الآداب باب أسماء النبي
- 40 ماهي القاديانية: دراسة شاملة و عرض علمي للقاديانية و مدى تأثيرها في المجتمع الاسلامي: أبو الاعلى المودودي. دار القلم كويت. ط: 2. 1402هـ، 1982م. ص 189-190
- 41 انظر قادياني مسئلة. ص: 354-360
- 42 انظر قادياني مسئلة. ص: 354-360
- 43 انظر قادياني مسئلة. ص: 354-360
- 44 انظر قادياني مسئلة. ص: 354-360